

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ تَحْذِيرَهُ لِأَدَمَ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا
عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ مَقُومَاتِ حَيَاتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ مُّقِيمٍ لَهُ وَلِزَوْجِهِ،
ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَقُوعَ مَا حَذَّرَ أَدَمَ ﷺ مِنْهُ بِوُقُوعِ الْوَسْوَسةِ الَّتِي
سَيَرْتَبُّ عَلَى الْإِنْسِيَاقِ لَهَا خُرُوجَ أَدَمَ ﷺ وَزَوْجِهِ مِنَ الْجَنَّةِ،
فَقَالَ: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَدَمَ ﷺ، مَعَ هَذِهِ
النَّصَائِحِ وَالتَّحْذِيرَاتِ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الْإِسْتِجَابَةِ، لِنَهْيِ
رَبِّهِ إِيَّاهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، بَلْ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ ضَعْفُهُ، فَاسْتَمَعَ إِلَى
مَكْرِ الشَّيْطَانِ⁽¹⁾.

الرَّبْطُ بَيْنَ مَزَابَا
الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا،
وَبَيْنَ إِغْرَاءِ
الشَّيْطَانِ لِأَدَمَ
بِالْخُلُودِ فِيهَا

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَوَسَّوَسَ﴾: الْوَسْوَسةُ هَمْسُ صَوْتِ شَدِيدِ الرِّقَّةِ وَاللُّطْفِ،
كَالَّذِي يُسْمَعُ مِنْ احْتِكَاكِ الصَّفَائِحِ الذَّهَبِيَّةِ الْمُتَدَلِّيَةِ مِنَ الْحَلِيَّةِ،
وَمِنْهُ هَمْسُ الصَّائِدِ الْكَلَامِ الَّذِي يَخْفِيهِ حَتَّى لَا يَسْمَعَهُ الصَّيْدُ،
فَيَنْفِرُ، وَيَفْرُ⁽²⁾، وَالْوَسْوَاسُ اسْمٌ مِنْ وَسَّوَسَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ؛ إِذَا
حَدَّثَتْهُ، وَبِالْكَسْرِ مَصْدَرٌ⁽³⁾، وَالْوَسْوَاسُ أَيْضًا الشَّيْطَانُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ
هِيَ وَسِيلَتُهُ فِي إِصَالِ مَا يُرِيدُ، وَالْوَسْوَسةُ: الْخَطَرَةُ الرَّدِيئَةُ مِنْ

(1) الطَّنْطَاوِي، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 9 / 161.

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (وَس)، وَالزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَمُحَمَّدُ جَبَلٌ، الْعَجَمُ الْإِسْتِقَاقِي:
(وَسْوَاسٌ).

(3) الْفَيْوَمِيُّ، الْمَبَاهِجُ النَّيِّرُ: 2 / 658.

الْوَسْوَاسِ، والمعنى هُنا: فَأَلْقَى وَحَدَّثَ⁽¹⁾، وتقول: وسوس إليّ، ووسوس في صدري، وفلان مُوسِسٌ، أي: غلبت عليه الوسوسة، والوسواس: اسم الشَّيْطَانِ في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: 4]⁽²⁾، وفي الكلِّيَّات: "الوسوسة: القَوْلُ الخَفِيّ لقصد الإضلال، من وسوس إليّه، ووسوس له، أي: فعل الوسوسة لأجله، وهي حديث النَّفْسِ والشَّيْطَانِ بما لا نفع فيه ولا خير"⁽³⁾.

(2) ﴿الْخُلْدُ﴾: (خلد) تدلُّ تَصْرِيْفَاتُهَا على الثَّباتِ والمُلازِمَةِ⁽⁴⁾، وَمِنْهُ الْخُلْدُ والخلودُ، بمعنى: البقاء والدوام، وهو في الأصل: المَكْتُ الطَّوِيلُ، والعرب تصف بالخلود كلَّ ما تباطأ تغييره وفساده، وكذلك وصفت الأيام بالخواند، لطول مُكْثِهَا لا لدوام بقائها⁽⁵⁾، وأُخِلِدَ إلى الأرض: اطمأنَّ إليها، ولزِمَها: أطلَّ بها الإقامة⁽⁶⁾، أو ركنَ إلى الدنيا وسكَنَ؛ ظانًّا أنَّه يخلدُ فيها، ومعنى شجرة الخُلْدِ هُنا: من أكل منها: دام مكثُه، ولم يمِتْ⁽⁷⁾.

(3) ﴿يَنْزِلُ﴾: يَزُولُ أَوْ يَضْعُفُ، يقال: بَلَى الثَّوبُ بَلَى وَبَلَاءً، أي: خُلِقَ، والبالي من الثَّياب: الخُلِقَ الَّذِي يَبْتَدِلُ⁽⁸⁾، وبَلَى المَيْتُ: أَفْنَتْهُ الأرضُ⁽⁹⁾، فالمادَّةُ موضوعةٌ لُضْدَ الجِدَّةِ، يقال: بَلَى الثَّوبُ بَلَى وَبَلَاءً: خُلِقَ، ومنه قولهم: بلوتُه: اختبرته، أي: كَأَنِّي أَخْلَقْتُهُ من كثرة اختباري⁽¹⁰⁾، والمعنى هُنا: لا ينقطع، ولا يزول⁽¹¹⁾.

❖ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

ألقى إبليسُ إلى آدمَ وسوسته، وكلمه كلامًا خفيًّا، فقال له: هل أرشدك إلى شجرةٍ مَنْ أكل منها؛ فلا يموت أبدًا، ويَكُنْ له مُلْكٌ لا يَفْنَى، ولا يَنْقَطِعُ؟⁽¹²⁾ وقد أتاه بصورة النَّاصِحِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 188 / 16.

(2) إبراهيم بن إسحاق، غريب الحديث: (عق).

(3) الكفوي، الكلِّيَّات، ص: 942.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلد).

(5) السَّمين الحلبي، عُمدَةُ الحُفَّازِ: (خلد).

(6) الزَّمخشرى، أساس البلاغة: 261 / 1.

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 282 / 5، والقاسمي، محاسن التَّأْوِيلِ: 152 / 7.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِب، المفردات: (بلى)، والكفوي، الكلِّيَّات، ص: 977.

(9) الفيومي، الصباح للنير: 62 / 1.

(10) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمْيِيزِ: 274 / 2.

(11) النَّيسابوري، غرائب القرآن: 577 / 4.

(12) ابن جرير، جامع البيان: 188 / 16، والتَّسْفِي، تفسير النَّسْفِي: 387 / 2، والسَّعْدِي، تيسير الكريم الرَّحْمَن، ص: 515، ومجموعة

من العلماء، المُختَصَر في التَّفْسِيرِ، ص: 320.

الأمين، وقام بدغدغة مطامعه، وهو توفُّهُ إلى الخلود، وطمعهُ في طول المتعة، وامتداد الاستمتاع بنعيم الجنَّة الذي لا ينقضي، ولا يَفْنَى، بل يتجدَّد، ولا يتبدَّد، فأغراه ذلك اللَّعِينُ، ووسوس إليه، وأغواه، حتَّى وقع مع زوجته في المعصية.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

دلالة الفاء في مطلع الآية الكريمة:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوسَ﴾، لتعقيب مضمون جُمليتها على مضمون التي قبلها، وهو تعقيب نسبي بما يناسب مدَّة تقلُّب في نعيم الجنَّة، حتَّى حسدَه الشَّيْطَانُ، واشتدَّ حسدُه⁽¹⁾، فالمعنى: فتعقَّب تحذيرنا هذا من غير بُعد في الزَّمان أن وسوس إليه الشيطان⁽²⁾.

سرُّ التعبير بالفعل ﴿فَوَسَّوسَ﴾ في السياق:

﴿فَوَسَّوسَ﴾ يتركَّب من تكرار المقطع (وس)، وهي صيغة تُفيد التَّكرار؛ لأنَّه لا ينفكُّ عن الوسوسة، ويُسمَّى تكرار المقطع لتكرار الحدث، حيث تكرر فيها المقطع (وس)، كما في كلمة كَبَّكَبَ في قوله تعالى: ﴿فَكُكِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشُّعراء: 94]، تكرر لفظ (الكبَّ)، وحقيقة ذلك في اللُّغة تكرير الانكباب، كأنَّه إذا ألقى ينكب مرَّةً بعد مرَّةٍ، حتَّى يَسْتَقَرَّ فيها⁽³⁾، فهذه الصَّيْغَةُ للدَّلالة على تكرار الحدث، وهذا التَّكرار الصَّوتي لهذا المقطع، يُحاكي عمليَّة الوسوسة، بما تشتمل عليه من إلحاح وإغراء بالشَّيء، يقتضي تكرار الإيعاز به مرَّةً بعد مرَّةٍ.

فائدة التعديّة في ﴿فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ﴾ و﴿فَوَسَّوسَ لَهُمَا﴾:

عُدِّي فعلٌ ﴿فَوَسَّوسَ﴾ هُنَا بحرفِ الجرِّ (إلى)، وعُدِّي باللامِ

إغراء إبليس
لأدم بالخلود
وعدم الفناء
تدليس وتزييف

تعقيب مضمون
جُمليتها على
مضمون التي
قبلها

إفادة معنى
التَّكرُّر والإلحاح
الإغراء بالشَّيء
وتزيينه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 325 / 16.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 358 / 12.

(3) الأزهرّي، تهذيب اللُّغة: (كب)، والتَّيسابوري، إيجاز البيان: 624 / 2، والمصطفي، التَّحقيق في

كلمات القرآن: 21 / 10.

اعتبار بلوغ
الوسوسة إلى
آدم، وبيان
سرعة وصولها
إليه

في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: 20]؛ وذلك باعتبار كيفية تعليق المجرور بذلك الفعل في قصد المتكلم، فإنه فعل قاصر لا غنى له عن التعدية بالحرف، فتعديته بحرف (إلى) هنا باعتبار انتهاء الوسوسة إلى آدم وبلوغها إياه، باعتبار تضمينه معنى الإنهاء والإبلاغ⁽¹⁾، وتعديته باللام في (الأعراف)، باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما⁽²⁾، وأيضاً كأنه عبر بـ (إلى)؛ لأن المقام لبيان انتهاء الغاية الزمانية في قبول الوسوسة، وإن أتته من بعد، أو لأنه ما أنهى إليه ذلك إلا بواسطة زوجه؛ لذلك عدى الفعل عند ذكرهما باللام⁽³⁾، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾؛ فعدي وسوس بـ (إلى)؛ لأنه بمعنى: أسر؛ وعداه في موضع آخر باللام؛ لأنه بمعنى: ذكر له، أو يكون بمعنى لأجله⁽⁴⁾.

سِرُّ التَّعْيِيدِ بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿إِلَيْهِ﴾ بَدَل (فِيهِ):

بيان أن الإلقاء
كان إليه
مخاطبة، فلما
وصله؛ دخل في
قلبه

عبر النظم الكريم بـ ﴿إِلَيْهِ﴾، بدل (فيه)، حيث قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾، ولم يقل: (فيه)؛ لأن المعنى أنه ألقى إليه ذلك مخاطبةً، وأوصله إليه، فدخل في قلبه⁽⁵⁾، ومعنى وَسْوَسَ إِلَيْهِ، أي: أنهى إليه الوسوسة.

نَكْتَةُ التَّعْيِيدِ بِلَفْظِ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بَدَلًا مِنْ (إِبْلِيسَ):

بيان بُعْدِ
الشَّيْطَانِ
عَنِ الْحَقِّ، وَالْإِشَارَةُ
إِلَى إِبْعَادِ النَّاسِ
عَنِ الصِّرَاطِ

استعمل البيان القرآني في هذا المقام وصف ﴿الشَّيْطَانُ﴾، المأخوذ من فعل (شَطَنَ)، بمعنى: (بَعَدَ)، والمأخوذ من الشَّدَّ بالشَّطْنِ، وهو الحبل الذي يُدَلَّى به الدلو إلى أسفل البئر، وقد استحقَّ إبليسُ هذا الاسم الوصفي الجديد، إذ قد هيأ نفسه للإغراء والإغواء، والإضلال عن صراط الله المستقيم، ومِمَّا لا شكَّ فيه أن إبليس، قد

(1) إسماعيل حقّي، تفسير روح البيان: /437.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 93، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 325.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 358.

(4) العكبري، التبيان: 1/ 261.

(5) ابن القيم، بدائع الفوائد: 2/ 262.

صار بذلك بعيداً بعداً سحيقاً عن الحق والخير والهدى، مطروداً من دائرة رحمة الرحمن الواسعة، وصار مُبْعِداً عباد الله عن الصِّراط المستقيم بوساوسه وتسويلاته، وهو يتخذ حبائل كثيرة، يدلي بها عباد الله إلى جحيم المعاصي والآثام، حتى حضيض الكفر بالله ﷻ.

عِلَّةُ فصل جملة ﴿قَالَ يَتَّأَدَمُ﴾:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَّأَدَمُ﴾، إمَّا بَدَلٌ مِنْ ﴿فَوْسَوْسَ﴾، أو استئنافٌ وَقَعَ جواباً عن سُؤالٍ نَشَأَ مِنْهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فماذا قال في وسوسَتِهِ؟ فقيل: ﴿قَالَ﴾⁽¹⁾، أو بَيَانٌ لِّجُمْلَةِ ﴿فَوْسَوْسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾⁽²⁾؛ لأنَّ قوله: ﴿فَوْسَوْسَ﴾ إشارةٌ إلى أَنَّ هذا الفعل كان لغرض الإيقاع في المعصية، حسبما يتبادرُ لِلذَّهْنِ مِنْ معنى كلمة الوسوسة التي تدلُّ على الخطاب في خفاء، فيحصل في نفس القارئ والسَّامع توقُّعٌ لغرض هذه الوسوسة، قبل العلم بمحتواها، فيحصل في نفسه شوق لمعرفة ما قال الشَّيْطَانُ: كي يغوي آدم، لذا كان الجوابُ بـ ﴿قَالَ﴾ أوقع، فلم يعطف: ﴿قَالَ﴾ على ﴿فَوْسَوْسَ﴾؛ لكونه تفسيراً له وتبييناً⁽³⁾، ولو أَنَّهُ جاء بالواو؛ لأوْهَمَ المُخَالَفةَ والتَّغَايرَ⁽⁴⁾.

دلالة ذِكْرِ (القول) بعد ذِكْرِ (الوسوسة):

قولُ الله تعالى: ﴿فَوْسَوْسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾، يدلُّ على أَنَّهُ إِنَّمَا وَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ مُخَاطَبَةً، لَا أَنَّهُ أَوْقَعَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ بِلَا مُقَاوَلَةٍ، فَمَنْ ادَّعى على الظَّاهِرِ تَأْوِيلًا، وَلَمْ يُقِمِ عَلَيْهِ دليلاً، لَمْ يَجِبْ قَبُولُ قَوْلِهِ، ويدلُّ أَيْضًا على أَنَّ الوسوسةَ قد تكونُ كَلَامًا مَسْمُوعًا أو صَوْتًا⁽⁵⁾،

بيان معنى
الوسوسة
للمذكورة سابقاً

الدَّلالةُ على أَنَّ
الوسوسةَ كانت
كَلَامًا مَسْمُوعًا

(1) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 47.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 325.

(3) السَّكَاكِي، مفتاح العلوم، ص: 259، وجاء في جواهر البلاغة: أَنَّ في الجملة كمالَ اتِّصال، وهو اتِّحَادُ الجملتين اتِّحَادًا تامًّا وامْتِزَاجًا معنويًّا بحيث نَزَلَتِ الثَّانِيَةُ مَنْزِلَةَ الْأَوَّلَى نفسها، بأن جاءت الجملة الثَّانِيَةُ بيانًا لِإِبْهَامٍ في الجملة الْأَوَّلَى، فهي بيان لما وسَّوس به الشَّيْطَانُ إليه، الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 183.

(4) البدوي، من بلاغة القرآن، ص: 138.

(5) ابن القيم، مفتاح دار السَّعادة: 1/ 13.

فالقول المذكور هو الوسوسة المذكورة، وقد أوضح النظم الكريم هذا القول في سورة الأعراف، وبَيَّنَّ أَنَّهُ وَسَّوسَ إِلَى حَوَاءَ أَيْضًا مَعَ آدَمَ، وذلك في قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ① فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ ② [الأعراف: 21 - 22]؛ لأنَّ تصرُّيحه تعالى في آية الأعراف هذه بأنَّ إبليس قاسمهما - أي: حلف لهما على أَنَّهُ ناصِحٌ لهما فيما ادَّعاه من الكذب - دليلٌ واضح على أَنَّ الوسوسة المذكورة كلامٌ مسموع⁽¹⁾.

نُكْتَةُ النَّدَاءِ بِاسْمِ آدَمَ هُنَا:

ناداه باسمه
ليكون أكثر إقبالاً
عليه، وأمكن في
الاستماع إليه

نادى الشَّيْطَانُ آدَمَ ﷺ باسمه: ﴿قَالَ يٰآدَمُ﴾ مُوهِمًا لَهُ أَنَّهُ يَنْصَحُهُ، كما نصحه الله بالنِّدَاءِ، ليكون أكثر إقبالاً عليه، وأمكن في الاستماع إليه⁽²⁾، وقوله كان على جهة النَّصِيحَةِ والتَّغْيِيرِ، فذكر له أَنَّهُ يهديه ويرشده ليحوز مُلْكًا لا يبلى، ومتاعًا لا يخلق، ونعيمًا لا يفنى، بل يتجدد دائمًا بلا انتقال ولا زوال، ورغم زيف القول، وفساد المنقول، سمعنا منه قوله المعسول، وابتلعا سمُّهُ الزُّعَافِ، وقبلًا منه تلك الوسوسة المغرَّة، وهاتيك المكائد الماكرة، ونسيا عهدَ مَنْ لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نوم، فاستسلما لنصائجه، وأكلا من الشَّجَرَةِ الممنوعة، فكان الهوان، وانكشف العوار، ووقع ما لا يخفى من الأحداث الكبار التي صنعت مشاهدَ قِصَّةِ آدَمَ بروعة وعبرة.

دلالة الاستفهام المسوق مساق العرض في هذا المقام:

ذكر النظم الكريم وسوسة الشيطان لآدم في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ؟﴾ وهو استفهامٌ مُسْتَعْمَلٌ في العَرَضِ، وجاء على سبيل الاستفهام الذي يُشْعِرُ بالنُّصْحِ، وَيُؤَثِّرُ قَبُولَ مَنْ يُخَاطَبُهُ⁽³⁾، وعرض عليه ما عرض في صورة الاستفهام الذي بمعنى الحثِّ والحضِّ،

الإشعار بدعوى
النصح لآدم،
والحرص على
مصلحته
ومنفعته

(1) الشَّنْقِيطِي، أضواء البيان: 4 / 398.

(2) أطفيش، تيسير التفسير: 9 / 228، والطَّنْطَاوِي، التفسير الوسيط: 9 / 162.

(3) أبو حنَّان، البحر المحيط: 7 / 391، وابن عاشور، التحرير والتأويل: 16 / 325.

لِيُشْعِرَهُ بِأَنَّهُ نَاصِحٌ لَهُ، وحريصٌ على مصلحته ومنفعته⁽¹⁾، كما ساق له الغش مساق العَرَضِ؛ إبعاداً لِنَفْسِهِ من التُّهْمَةِ والغَرَضِ، وشوقه إليه؛ لَأَنَّ النَّفْسَ شَدِيدَةُ الطَّلَبِ لِعِلْمِ ما تَجَهَّلُهُ⁽²⁾.

إِثَارُ الْفَعْلِ ﴿أَذْلَكَ﴾ فِي السِّيَاقِ الْكَرِيمِ:

الدَّلَالَةُ هي الإرشاد إلى شيء مطلوب غير ظاهر لطالبه، والدَّلَالَةُ على الشَّجَرَةِ لقصد الأكل من ثمرتها⁽³⁾، وأوهمه أَنَّهُ لا يعلم شيئاً عن قَضِيَّةِ الشَّجَرَةِ المحرَّمة عليه وعلى زوجه، وأَنَّهُ خالي الذَّهْنُ تماماً، وأَنَّهُ حريصٌ على نصحه، فهو أسبق منه وجوداً، وأعلمُ بحقائق كثيرةٍ من الأمور، وبصفات بعض الأشياء وخصائصها، وأغراه بالخُلْدِ في الجنَّةِ بحياة أبديةٍ دائمةٍ لا تنقطع، مع نعيمٍ عظيمٍ ومُلْكٍ لا يبلى، ولا يفنى، وقد رَغِبَ إبليسُ آدمَ ﷺ في دوام الرِّاحَةِ، بقوله: ﴿هَلْ أَذْلَكَ؟﴾ فجاءه إبليس من الجهة الَّتِي رَغِبَهُ اللهُ فيها، وفي الأعراف: ﴿مَا نَهَكُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: 20] الآية، وهُنَا ﴿هَلْ أَذْلَكَ؟﴾ والجمع بينهما: أَنَّ قوله: ﴿هَلْ أَذْلَكَ؟﴾ يكون سابقاً على قوله: ﴿مَا نَهَكُكُمْ﴾ [الأعراف: 20]، لما رأى إصغاءه وميله إلى ما عُرِضَ عليه؛ انتقل إلى الإخبار والحصر⁽⁴⁾، فكان الشَّيْءُ الَّذِي رَغِبَ اللهُ فيه آدم، رَغِبَهُ إبليسُ فيه، إِلَّا أَنَّ اللهَ تعالى وقفَ ذلك على الاحتراز عن تلك الشَّجَرَةِ، وإبليسَ وقفَهُ على الإقدام عليها⁽⁵⁾.

دَلَالَةُ إِضَافَةِ الشَّجَرَةِ إِلَى ﴿الْخُلْدِ﴾:

أَضَافَ الشَّجَرَةَ إِلَى الخُلْدِ، وهو الخلود؛ لَأَنَّ من أكل منها، صار مَخْلُداً بزعمه⁽⁶⁾، وسَمَّاها بذلك للتَّشْوِيقِ إلى تعيينها، حتَّى

ما رَغِبَ فيه
إِبْلِيسُ آدَمَ هو
عَيْنُ ما أمره الله
بالاحترازِ منه
سَلَفًا

التَّشْوِيقُ إِلَى
تَعْيِينِ الشَّجَرَةِ
حَتَّى يَقْبَلَ عَلَيْهَا

(1) الألوسي، روح المعاني: 582/8، والطَّنطاوي، التفسير الوسيط: 162/9.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 358/12.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 326/16.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 391/7.

(5) الخازن، تفسير الخازن: 215/3.

(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 108/22، وزاده، حاشية محيي الدِّين زاده على البياضوي: 666/5.

يقبلَ عليها، ومعلومٌ أنَّ النَّفسَ الإنسانيَّةَ متى تعلَّقتَ بمجهولٍ - فيه مطلبٌ عظيم من مطالب النَّفس - أخذتْ تغليَ مراجلُها للتَّعرُّفِ عليه، والوصولِ إليه، واستعمالِهِ لتحقيقِ مطلوبِها العظيم، ثُمَّ عَيَّنَها له عقب ذلك بما أنبأ به قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: 121]، وقد أفصحتْ هذه الآية عن استِقرارِ محبَّةِ الحياةِ في جِبِلَّةِ البَشَرِ⁽¹⁾.

وسمَّاها إبليسُ بشجرة الخلد أيضًا لإشعاره بأنَّ هذا الاسم الوصفيُّ، هو اسمها المعروف عند أهل الملأ الأعلى، وهي شجرة من أشجار الجنَّة، فهذا الأسلوب هو أسلوبُ التَّشويقِ للرَّبطِ والإِزلاقِ.

فائدة عطف ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ على ما قبله:

زيادة التَّغْيِيبِ
والإِغْرَاءِ بدوام
الرَّاحة والتَّنْعُمِ

الملِكُ الَّذي لا يبلى، أي: لا يفنى، ولا يهتري، كما تبلى الثَّياب، فهو فيما يظهر إغراؤه بسلطان دائم على ذرِّيَّاته الَّذين يتناسلون منه فيها، بعد أن يأكل من شجرة الخلد، فيكون من الخالدين، وإغراؤه بسلطان دائم على أهل الجنَّة وسكَّانها، من غير ذرِّيَّاته، فعطف المُلْكُ الدَّائم على الخُلْدِ، أي: لا يبيد ولا يفنى؛ رغبةً في دوام الرَّاحة⁽²⁾، وزيادة على التَّخليد فيها أبدًا، فراق لهما ذلك، وقالوا: بلى، فما هو؟ قال: تأكلان من هذه الشَّجرة، ولم يزلْ يُحَسِّنُ لهما أكلها حتَّى أغراها⁽³⁾.

بلادة المجازِ في إطلاقِ البلى على الملك:

تأكيد دوام
الملك، وتحقيق
عدم زواله

استعمل (البلى) مجازًا في الانتهاء في قوله: ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾؛ لأنَّ الثَّوبَ إذا بلى؛ فقد انتهى لبسُه⁽⁴⁾، والتَّعبيرُ بالبلى من قبيل المجازِ المرسل، فنفى عن المُلْكِ البلى، فضلًا عن الزَّوالِ⁽⁵⁾، وذكره

(1) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 326 / 16.

(2) الخازن، تفسیر الخازن: 3 / 215.

(3) ملا حويش، تفسیر القرآن العظيم: 223 / 2.

(4) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 326 / 16.

(5) اللِّهائمي، تبصير الرِّحْمَن وتيسير اللِّهائمي: 25 / 2.

للتأكيد وزيادة التَّرييب⁽¹⁾، فأراها شجرة الفناء شجرة الخلد،
وسبب زوال الملك سبب دوامه، بل سبب الخزي سبب القرب⁽²⁾.

بلادة الإطناب في تفصيل عرض وسوسة إبليس:

في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَذُنْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَّا يَبْلَى﴾،
عُرِضَتِ الوسوسة في صورتين مختلفتين، إحداهما مُبهمَةٌ، والأخرى
موضحة، حتَّى يتمكَّن المعنى في نفس السَّامع أفضلَ تمكُّن؛ لأنَّ
النَّفْس إذا أدركت الشَّيء مُجمالاً؛ تاقَّت إلى معرفته مُفصَّلاً،
وحينئذٍ يتمكَّن الغرض منها، وقد نبَّه الإمام عبد القاهر إلى أنَّه
ليس إعلامك الشَّيء بغتة غفلاً، مثل إعلامك له بعد التَّنبيه عليه
والتَّقدمة له؛ لأنَّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد
والإحكام، ومن هنا قالوا: إِنَّ الشَّيء إذا أُضْمِرَ، ثُمَّ فُسِّرَ، كان ذلك
أفخَمَ له، من أن يُذَكَّرَ من غير تقدمة إضمار⁽³⁾، فالوسوسة مبهمَةٌ،
وغير معلومة، ولهذا اشتاقتِ النَّفس لمعرفة تفاصيلها، فجاء قوله
تعالى: ﴿قَالَ يَتَّذَرُ هَلْ أَذُنْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَّا يَبْلَى﴾ مُزيلاً
لذلك الإبهام، وموضِّحاً للوسوسة⁽⁴⁾.

سرُّ الإيجاز بعدم ذكر جواب آدم على سؤال إبليس:

بعد هذا التشويق والتعليق للرَّبط والإزلاق في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَذُنْكَ
عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَّا يَبْلَى﴾، لا بدَّ أن يكون آدم قد قال لإبليس:
(نعم، دلَّني عليها)؛ ولكنَّ النِّظَم الكريم سكَّت عن هذا إيجازاً.

❁ الفروق المُعجمية:

الدَّلالة والإرشاد:

الدَّلالة ما يُتوصَّل به إلى معرفة الشَّيء، كدلالة الألفاظ على

الإيضاح بعد
الإبهام تمكين
للمعنى في
النفس،
وتحصيل للذة
العلم به

الإيجاز
والاختصار
للكلام، وقرب
المعنى للذهاب

(1) الألوسي، روح المعاني: 582 / 8.

(2) اللهائمي، تبصير الرّحمن وتيسير اللّتان: 25 / 2.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 132.

(4) الدسوقي، حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص: 210 / 3.

الدلالة عامة
في معنى البيان
والتعريف، أما
الإرشاد؛ فهو
بيان وجه الحق
والخير

المعاني، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان، فيعلم أنه حي، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبا: 14]، والإرشاد: بيان الطريق والتعريف بالقصد والصواب⁽¹⁾، ولا يقال: أرشده إلا إلى المحبوب، والرّاشد هو القابل للإرشاد، والرّشيد مُبالغة من ذلك، ويجوز أن يكون الرّشيد الذي صلح بما في نفسه ممّا بعث عليه الخير، والرّاشد: القابل لما دلّ عليه من طريق الرّشد⁽²⁾، والنّاظر في سياق الآيات التي ورد فيها لفظ الدلالة ومشتقاته، يجد أن أكثرها في غير معنى الهداية إلى الله، بل الدلالة على شيء دنيوي، عدا قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]، ولعلّ في هذا قرينة على أن الاستعمال القرآني للفظ الدلالة، يقصره على معنى البيان والتعريف، وعلى هذا يكون الإرشاد أخصّ من الدلالة، فالدلالة عامة في معنى البيان والتعريف، سواء في الخير أم في الشرّ، وبقصد أم بغير قصد، أمّا الإرشاد؛ فهو بيان وجه الحق والخير، ولا يكون الإرشاد في الشرّ، كما أنه لا بدّ أن يكون مقصوداً⁽³⁾.

الخلد والبقاء والدوام:

الخلد: دوام البقاء، يُقال: خلد الرجل، وأخلده الله سبحانه إخلاداً، وخلّده تخليداً، وقيل لأثافي الصُّخور: خوالد لبقائها بعد دروس الأطلال⁽⁴⁾، وهو أيضاً دوام البقاء في دار لا يخرج منها، ومنه سُميت الآخرة دار الخلد لبقاء أهلها فيها⁽⁵⁾.

الخلود استمرار
البقاء، والبقاء
استدامة حالة
سابقة، والدوام
أعمّ منهما

(1) جبل، للعجم الاشتقاقى للأصل: (رشد).

(2) للصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 4 / 141.

(3) محمّد داود، الفروق الدلالية، ص: 254.

(4) الجوهرى، الصّاح: (خلد).

(5) ابن منظور، لسان العرب: (خلد)، والكفوي، الكلّيات، ص: 434.

والبقاء: هو الثبات على حالة سابقة، وكونها مستصحبةً، والشئ الدائم: الشئ الثابت لا يبرح، والبقاء يقابله النفاذ، ويُعدُّ في مفهوم الثبات التحقيق في نفس الأمر، ويُقابله الزوال⁽¹⁾.

أما الدوام: فهو استمرارُ البقاء في جميع الأوقات، ولا يقتضي أن يكون في وقتٍ دون وقت، ولهذا يُقال: إنَّ الله لم يزل دائماً، ولا يزال دائماً، ولما كان الخلود استمرارَ البقاء، من وقت مبتدأ، فلا يقال لله تعالى: إنَّه خالد⁽²⁾.

فالفرق بين الخلود والبقاء والدوام: أنَّ البقاء هو استدامة حالة سابقة في وقتين فصاعداً، والدوام استمرارُ البقاء في جميع الأوقات، والخلود استمرارُ البقاء من وقت مبتدأ مُعَيَّن، فهو لزوم مُستمرٍّ، فالخلود مُطلق الدوام، والاستمرارُ من وقت مبتدأ، وإذا أُريد الاستمرارُ الدائم: فيُقَيَّد بقرينة لفظية كالأبد ونحوه، كقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: 57]⁽³⁾.

(1) للمصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 1/ 320.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 118.

(3) النابوي، التوقيف، ص: 158، والمصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 3/ 99.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-74-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»